

الهوس البريطاني بفلسطين والقدس

جذوره ومراحل تطوره حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي عمر موسى حامد*

خلفية تاريخية: الجذور والبدائيات

ذهب بعض المؤرخين القدماء . من خلال دراستهم للحروب الملحمية بين الفرس واليونان في القرن الخامس قبل الميلاد . إلى القول بأن تاريخ المنطقة العربية جسدت صراعا دائما بين الغرب والشرق. وما زالت نظرية الصراع هذه تجد قبولا عند كثير من الباحثين والسياسيين. وإن طرحت بصيغ حديثة ومعدلة¹ وعليه فإن صلة الأوروبيين بمنطقتنا العربية صلة قديمة. وإن تاريخ العلاقات بين الغرب والشرق قد تميز عبر فترات زمنية عديدة باهتمام الغرب بالشرق ومحاولته الدؤوبة للهيمنة والسيطرة عليه. ومن الواضح أن فلسطين كانت خلال ذلك هي أساس الصراع وجوهر هذا الاهتمام وضحية تلك السيطرة والهيمنة. إذ خضعت للحكم اليوناني نحو ثلاثة قرون (٣٣٢-٦٣ ق.م). ثم خضعت للحكم الروماني/البيزنطي نحو سبعة قرون (٦٣ ق.م - ٦٣٧ م). وكانت ولادة الديانة المسيحية من أهم الأحداث في تاريخ فلسطين أثناء الحكم الروماني. وأخذت هذه الديانة تنتشر بصورة واسعة منذ عهد قسطنطين. الذي كان أول من تنصّر من أباطرة الرومان. وقد أمرت أمّه. الملكة هيلانة. ببناء كنيسة القيامة في القدس وكنيسة المهد في بيت لحم. وكانت المسيحية قد انتشرت على أرض فلسطين كلها بعد ميلاد السيد المسيح عليه السلام بثلاثة قرون. ثم انتشرت في مختلف أرجاء الامبراطورية الرومانية وبلدان أوروبا^١.

بعد انتشار المسيحية. أصبحت فلسطين تستحوذ على اهتمام المسيحيين الأوروبيين. الذين أخذوا يرتحلون إليها. وخصوصا بعد أن تحرروا من

* باحث في تاريخ فلسطين.

الاضطهاد الروماني من أجل «السير على خطى السيد المسيح واتباع آثاره ومعاينة المواقع التي وقعت فيها معجزات الأنبياء والقديسين». وأول من وصلنا خبر قيامه بالرحلة المقدسة إلى فلسطين حاج من مدينة بوردور في فرنسا سنة ٣٣٣ م.^٢

وبعد تولي قسطنطين السلطة بسبعين عامًا (أي سنة ٣٧٦ م). امتلت القدس بالرهبان والراهبات. وكانت الصلوات العامة تُقام باللغة اليونانية بحضور ترجمان كان يردد الكلمات بالأرامية. وعند مجيء الأجانب (الأوروبيين) الناطقين باللاتينية إلى فلسطين كان هناك ترجمة غير رسميين. وكان الزوار الأجانب يقدون بأعداد كبيرة. واختار بعضهم البقاء في مدينة القدس. وأصبحت البرية الكائنة شرق المدينة مأوى للرهبان من مختلف الجنسيات خاصة من الأوروبيين.^٤ وكان ممن قاموا بالرحلة إلى فلسطين النبيلة الفرنسية أثيريا سنة ٢٨٦ م: وبوفيري الراهب اليوناني. وذلك في القرن الرابع الميلادي؛ والقديس جيروم الذي استقر في أحد كهوف بيت لحم.^٥

وبالرغم من انتهاء الحكم الروماني - البيزنطي على فلسطين ودخولها تحت الحكم العربي الإسلامي منذ ٦٣٧ م. إلا أن صلة الأوروبيين واهتمامهم بها ظل قائمًا ونشطًا قرونًا عديدة. ولعل ذلك يرجع إلى تسامح الفاتحين المسلمين وذلك حسب ما ذهب إليه أنست باركر. والذي كتب «أن شارلمان كان وثيق الصلة ببيت المقدس. إذ أرسل إليه بطربرك بيت المقدس سنة ٨٠٠ م مفاتيح المدينة وعلمها. وأنه في سنة ٨٠٧ م اعترف هارون الرشيد بما حدث من «التنازل الرمزي» عن المدينة. وأقر شارلمان «حاميًا» لبيت المقدس و«مالكًا» لكنيسة القيامة. وشيّد شارلمان بالمدينة مستشفى ومكتبة». ومن هنا جاءت الأسطورة التي تجعل من شارلمان أول المحاربين الصليبيين وأول الفاتحين للأراضي المقدسة. وظلّ الاتصال مستمرًا في أثناء القرن التاسع الميلادي. إذ أرسل الملك ألفرد ملك إنجلترا ولويس ملك ألمانيا المساعدات إلى بيت المقدس. فصار لكنيسة بيت المقدس ضياف شاسعة في الغرب. واستمر الاتصال طوال القرن العاشر الميلادي^٦.

اعتبرت فلسطين أساس الوطن المقدس الذي أورثه المسيح لأتباعه. ولم تكن القدس توصف بأنها صهيون اليهودية. بل مدينة العهد الجديد المقدسة. ولم تتضاءل أهمية القدس كمدينة مقدسة إلا بعد سنة ٥٩٠ م حين أصبح عرش البابا غريغوري العظيم في روما هو مركز السلطة المسيحية. وأصبحت الخطوة لها على القدس. ومع ذلك بقيت فلسطين. الأرض المقدسة.

تغلغل في حياة مسيحيي العصور الوسطى وخيالهم. وبقيت الرحلة إليها مطمح كل مسيحي.^٧

دور انجلترا في الحروب الصليبية

لقد ظهر دور انجلترا بوضوح في الحرب الصليبية الثالثة ١١٨٩-١١٩٢ م. وتمثل في الاشتراك الفاعل لملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد (ريكاردوس) في هذه الحملة. والذي احتل وهو في طريقه إلى فلسطين جزيرة قبرص. ولعل في احتلال الإنجليز المبكر لقبرص التي تطل على ثلاث قارات دليل على إدراكهم لأهمية موقعها. إذ إنها أصبحت بعد ذلك جسراً ومحطة مهمة لكثير من الحملات التي وجهت نحو الشرق «فضلاً عن الدواعي السياسية التي تقتضي اتخاذ الجزيرة قاعدة للإمدادات والعمليات التي تقوم بها الجيوش لاحتلال فلسطين»^٨ وبعد احتلال قبرص ارتحل ريتشارد إلى ساحل عكا في أسطول كبير مزوّد بإمدادات ضخمة. واستطاع بعد شهر من قدومه. أن ينهي الحصار الذي استمر مضموراً على عكا عامين. وقد تمكن الفرنجة من دخول عكا عنوة على الرغم من استبسال حاميتها الإسلامية في الدفاع عنها. إذ قاتلت في الشوارع ومن بيت إلى بيت. وكان ذلك في شهر تموز سنة ١١٩١ م. وقد انتقم ملك إنجلترا ريتشارد من الحامية التي استماتت في الدفاع عن عكا. فقتل من أسراها ثلاثة آلاف.^٩

كانت أطماع ريتشارد في فلسطين واضحة جلية. فقد قام فيها ببعض الأعمال الحربية بعد السيطرة على عكا. من ذلك الانتصار الذي أحرزه في معركة أرسوف. وقيامه بتجديد استحكامات يافا وعسقلان. وظهرت أيضاً أطماعه عندما شارك في الصراع الدائر يومذاك على عرش مملكة بيت المقدس. وقد وصفه ابن شداد: «أنه عظيم الشجاعة قوي الهمة وجسوراً في الحروب». ولعله استحق لقب قلب الأسد لشجاعته التي تحدث عنها ابن شداد.

اقتصرت عمليات ريتشارد الحربية في فلسطين على الساحل. ذلك أنه لم يجد سبيلاً لاختراق خط دفاع صلاح الدين عن القدس. لذا فقد انتقل إلى خيار المفاوضات مع صلاح الدين. والتي استمرت طوال أعوام. وتخللها نوع من التقارب والتفاهم بين الإنجليز والمسلمين. ويبدو أن ريتشارد في أثناء هذه المفاوضات ارتبط بصدافة بالعدل بشقيق صلاح الدين. فقد عرض على العادل أن يتزوج من أخته جان أرملة ملك صقلية السابق غليوم. إلا أن ريتشارد عدل عن ذلك بعد تعرضه لضغوطات من قبل رجال الدين المسيحيين. وأخيراً. وقعت المصالحة بين الإنجليز وصلاح الدين مدة ثلاث أعوام وثمانية أشهر في ٢٠ أيلول ١١٩٢ م. وقد نصّ

صلة الأوروبيين بفلسطين في فترة الحروب الصليبية

أصبحت فلسطين في القرن الحادي عشر الميلادي محور اهتمام الغرب المسيحي. ذلك أن العلاقات تأزمت في أعقاب استيلاء السلاجقة الأتراك على بيت المقدس سنة ١٠٧١ م. وما أثير في أوروبا آنذاك من سوء معاملة الحجاج المسيحيين. وصار قدوم الحجاج أمراً شاقاً وعسيراً. في الوقت الذي كانت فيه الجموع المسيحية تتراحم على القدوم إلى الشرق. ويشتد في أوروبا الشعور الديني لما أثارته «الحركة الكلوونية» من حماسة دينية واضحة. ويزداد فيه أيضاً نفوذ الكنيسة البابوية على الشرق وكنيسته.^{١٠} وقد وجد كثير من الأوروبيين ضالته في الحروب الصليبية. وهي الحروب التي «ستتيح لهم فرصة تقبيل الصخرة التي صلب عليها المسيح والسجود أمام قبره بل ودخول الجنة نفسها»^{١١}

لقد كانت «الصعوبات المتزايدة» التي اعترضت سبيل الرحلة والحج إلى فلسطين هي ظاهرياً. الحافز الرئيسي للزحف الفرنجي على فلسطين فيما عُرِف بالحملة الصليبية الأولى. وكان من نتيجة قيام «نظرية الحرب المقدسة» أن تغيرت النظرة المسيحية الغربية للبلاد. ولم تعد حاملة للنظرة اليهودية. فقد رأى هؤلاء المسيحيون الغربيون أن وعد الله لليهود قد تحول إليهم بمجيء يسوع. فلقد تأتى الميراث. فلسطين والقدس. بحق إلى «إسرائيل الجديدة». فالعهد القديم بات باطلاً وملغياً. واستعيض عنه بعهد جديد. وعليه. بات المسيحيون (اللاتين) الوارثين الحقيقيين للبلاد المقدسة. ووقعت فلسطين فريسة لمستوطنين جدد. اهتموا باقتناء الأملاك أكثر من اهتمامهم بإعلاء «حكم الرب»^{١٢} وجُزئت فلسطين من بحرهما إلى نهريها إلى قطاعات مسيحية متفرقة خاضعة لمملكة القدس اللاتينية. التي جعلت القدس عاصمة لها. وتوج بولدون ملكاً في كنيسة المهد في بيت لحم. وكشف قيام مملكة القدس اللاتينية عن نية الصليبيين والبابوية في الحفاظ على وجود مسيحي غربي دائم في فلسطين. الأمر الذي يعني «أحقبتهم في فلسطين»^{١٣}

عودة الاهتمام الأوروبي (الإنجليزي) في القرن السادس عشر، وحركة الإصلاح الديني

عاد الاهتمام الأوروبي بالمنطقة العربية بصورة عامة، وبفلسطين بصورة خاصة في القرن السادس عشر. بعد أن استولى العثمانيون على البلاد العربية. واستطاع الإنجليز أن يحصلوا على بعض الامتيازات التجارية والملاحية في سواحل البلاد العربية الواقعة على البحر الأبيض. واستطاعوا ارتياد البحر الأحمر والخليج العربي والشواطئ العربية الواقعة على بحر الهند وإنشاء بعض المراكز التجارية والملاحية عليها.^{١٨} تزامن ذلك مع حركة الإصلاح الديني التي ظهرت بقوة في بريطانيا في الفترة نفسها. فكانت المبادئ البروتستانتية التي نتجت عن حركة الإصلاح الديني مُغايبة تمامًا للمبادئ الكاثوليكية السابقة. فلقد تسَلَّحت البروتستانتية بفكرة العودة إلى الأصول المقدسة (العهد القديم) باعتباره مصدر المسيحية والنبع الحقيقي للدين. ونادت بضرورة فهم النصوص بمدلولاتها البسيطة والواضحة. وبعدم وجود قيود على حرية الفرد في قراءة الكتاب المقدس وفهمه. وضرورة إحلال سلطة الكتاب المقدس (المعصوم من الغلط) محل سلطة البابا. وكانت إنجلترا من أوائل دول الإصلاح الديني التي نبذت الهيمنة البابوية وتفسيراتها المجازية. وأقبلت الجماهير البروتستانتية على العهد القديم باعتباره كلمة الله المعصومة. ومن هنا وصف البعض حركة الإصلاح الديني بأنها نهضة عبرانية أو تهويدية. وصار البروتستانت يفكرون في فلسطين «اليهودية» التي تدور على أرضها أحداث التوراة. وذات الصلة بالنبوءات التوراتية. فعودة اليهود إلى فلسطين ضرورة حتى يتحقق مجيء المسيح ثانية.^{١٩} أدى شغف الجماهير البروتستانتية بالكتاب المقدس، وانتشار العبرية والدراسات اليهودية، إلى شحن الأذهان بمقولات ومفاهيم المسيحية المتصهينة (الأصولية المسيحية). ومن أهم هذه الأفكار:

- قبول التفسير اليهودي للعهد القديم. وخصوصاً فيما يتعلق باستعادة اليهود لفلسطين.
- قبول التفسير بارتباط زمن نهاية العالم بعودة المسيح ثانية. وربط هذه العودة بعودة اليهود إلى فلسطين.

الصلح على أن يحتفظ كل فريق بما في يده. فاحتفظ الصليبيون بساحل الشام بين صور وبيافا. في حين يظل باقي فلسطين. بما فيه بيت المقدس. في أيدي المسلمين. وتقرر اقتسام مدينتي الرملة واللد وتخريب عسقلان التي كان ملك الإنجليز قد حصَّنها. وتصبح منطقة منزوعة السلاح. وأن يسمح للحجاج النصارى بالوصول إلى بيت المقدس.

وهذه هي أول مرة تنتهي حملة صليبية إلى صلح أو اتفاق يجمع الطرفين على «التعايش وقبول الواقع». وقد كان إقرار شروط الصلح بداية لصلات «المودة» بين الفرنجة والمسلمين. فاختلط العسكر ونشطت التجارة. ووصل الحجاج إلى القدس. ومنهم ريتشارد نفسه. وزاروا كنيسة القيامة. ويبدو أن ملك الإنجليز قد أضرمر أمرًا حين أرسل إلى السلطان صلاح الدين يطلب منه ألا يسمح للنصارى بالحج إلى القدس إلا بإذن منه. لكن صلاح الدين رفض ذلك. حتى لا يجعل له بمقتضى هذا الحق. أية سيطرة. ولو معنوية. على بيت المقدس.^{٢٠} ورغم استمرار جموع الحجاج والصليبيين بعد الحملة الصليبية الثالثة. وتتابع الحملات الصليبية أيضًا. إلا أن الوجود الصليبي في البلاد كان يمر بحالة من الضعف والانحسار وبيشتر بقرب نهايته. وخصوصاً بعد تولي المماليك الحكم في مصر وضمَّهم للشَّام. وإظهار حماسة قوية للإسلام وتحقيق الانتصارات على الصليبيين. ويرجع الفضل في ذلك إلى السلطان الظاهر بيبرس الذي حقق أعظم وأهم هذه الانتصارات. فقد تمكن من الاستيلاء على العديد من الحصون الصليبية على ساحل الشام وفي داخلها. فاسترجع قيسارية وارسوف وصفد والرملة؛ واستولى على قلعة الشقيف وحصن الأكراد؛ وفتح انطاكية سنة ١٢٦٨م. وكان أعظم فتح حققه المسلمون على الصليبيين في الشام منذ استرجاع القدس على يد صلاح الدين؛ ثم إنه هاجم عكا وهددها عدة مرات.^{٢١} وأمام انتصارات بيبرس جاء إلى عكا الأمير ادوارد الذي صار فيما بعد ادوارد الأول ملك الإنجليز. فوصل إليها في سنة ١٢٧١ م. إلا أن حملته لم تأتِ بنتيجة.^{٢٢}

سرَّعت انتصارات بيبرس على الصليبيين في موعد سقوط آخر معاقلهم في الشام وهو حصن عكا. الذي سقط سنة ١٢٩١ م على يد السلطان المملوكي الأشرف خليل بن قلاوون. فانتهى الوجود الفرنجي الغربي في البلاد.^{٢٣} وعليه. فإن صلة الأوروبيين. صلة الغزو والهيمنة. بالبلاد انتهت في القرن الثالث عشر الميلادي.

• اقتناع النخبة في بريطانيا بأن كلمة إسرائيل الواردة في العهد القديم تعني كل الجماعات اليهودية في العالم.

وبهذا، أخذ التعاطف مع اليهود في إنجلترا يترسخ يوماً بعد يوم.¹⁰

تكمُن أهمية حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في إنجلترا في كونها طليعة ورائدة في مجال استكشاف الأفكار الصهيونية المتعلقة باستعادة ما يسمى الأمة اليهودية واستعادة فلسطين كوطن لليهود. وبعبارة أخرى فإن الأصولية المسيحية بنّيت بالأيدولوجية الصهيونية قبل أن يتفق بها الذهن اليهودي بمئات الأعوام، فقد بدأ منذ القرن السادس عشر ما يمكن وصفه بـ «الاتحاد الغرب بين سياسة الإمبراطورية الإنجليزية ونوع من الصهيونية المسيحية الأبوية التي اتضحت في السياسة الإنجليزية في الأجيال اللاحقة»¹¹

الاهتمام البريطاني بفلسطين في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين

كانت حركة الإصلاح الديني البروتستانتي مع بداية القرن السابع عشر أشد ما تكون رسوخاً في إنجلترا. إذ حلت فترة جديدة من الصراع الروحي والفكري وهو ما يشار إليه بالثورة البيوريتانية، التي جلبت لإنجلترا «الغزو العبري». فأصبحت العبرية أمراً محسوساً على المستوى الشعبي وتغلغلت التعابير العبرية في الحديث الإنجليزي.¹²

وكانت فلسطين قبل ذلك التاريخ تعيش في أذهان المسيحيين على أنها أرضهم المقدسة التي دافع عنها الكثير من الإنجليز في إبان الحملات الصليبية ضد المسلمين. أما وقد جرّدت فلسطين من دلالاتها المسيحية، فقد أصبحت تعتبر وطن اليهود الذين كانت عودتهم إليها هي المقدمة الحتمية لعودة المسيح المنتظر تبعاً لنبوءات العهد القديم.¹³ وبهذا، فإن الاهتمام البريطاني بفلسطين في هذه الفترة تحدد باعتبارات دينية أكثر مما تحدد باعتبارات سياسية واقتصادية. لكن النظرة الدينية هذه والاهتمام الروحي بفلسطين، وُظفًا منذ القرن السابع عشر في خدمة تحقيق الأهداف الاستعمارية البريطانية التي تنطلق من اعتبارات سياسية واقتصادية.

يعود تاريخ الأطماع الأوروبية في فلسطين خلال العصور الحديثة إلى منتصف القرن السابع عشر. ففي تلك الفترة كان هناك صراع مرير بين الدول الأوروبية حول السيطرة على التجارة العالمية والتحكم في طرق مواصلاتها. وكان البيوريتانيون (التطهريون) آنذاك لا يشكّلون الطبقة الحاكمة في إنجلترا فحسب، وإنما كانوا هم أيضًا القوة الاقتصادية المتنفذة. فمنهم كان كبار التجار ورجال الأعمال. ونظرًا إلى الصلة الوثيقة التي تربط البيوريتانية باليهودية، فقد تهيأ لليهود مجال واسع للمساهمة في النشاط التجاري، ولم يكن عسيرًا على رئيس إنجلترا البيوريتاني آنذاك أوليفر كرومويل (١٦٤٩-١٦٥٨ م). أن يدرك مدى الفائدة المادية التي كان بمقدور اليهود تقديمها للاقتصاد الإنجليزي لا سيما في المجال التجاري. لذلك فقد أبدى اهتمامًا كبيرًا بشؤون اليهود وأخذ يقدم إليهم الكثير من التسهيلات. وقد نظّم عدد من البيوريتانيين الإنجليز «حركة» بهدف مساعدة اليهود على الاستيطان في فلسطين، وقاموا سنة ١٦٤٩ م بتقديم عريضة إلى الحكومة الإنجليزية جاء فيها: «إن الأمة الإنجليزية مع سكان الأراضي المنخفضة سيكونون أول الناس وأكثرهم استعدادًا لنقل أبناء إسرائيل وبناتها على سفنهم إلى الأرض الموعودة لأجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب كي تصبح إرثًا دائمًا لهم»¹⁴ وبالرغم من أن هذه الحركة ودعوتها لتوطين اليهود في فلسطين لم تأتِ بأية نتيجة عملية، إلا أنها كانت مؤشّرًا للقوى الحاكمة في بريطانيا وغيرها، كي تولي فلسطين مزيداً من اهتمامها وتدرس بجديّة مدى الفائدة المَجنبة من وراء توطين اليهود فيها. سواء كان ذلك في المجالات السياسية أو الاقتصادية، وفعلاً، فإن فلسطين ابتداءً من منتصف القرن الثامن عشر وبصورة أوضح في القرن التاسع عشر، شهدت نشاطاً مكثفًا واكب التوسع الإمبرالي الغربي قامت به مجموعات من التجار وعلماء الآثار والمبشرين والرحالة والمغامرين.¹⁵ ويمكن رصد مدى الاهتمام البريطاني بفلسطين في القرنين السابع عشر والثامن عشر، من خلال تتبع تأثير المقولات الصهيونية المسيحية في الأدب الإنجليزي، وتأثيرها على بعض العلماء، مثل إسحاق نيوتن ١٦٤٢-١٧٥٢، الذي نُشر له كتاب بعد وفاته تحدث فيه عن عودة اليهود إلى «وطنهم فلسطين»¹⁶ والعالم الطبيعي جوزيف بريستلي، الذي كان على قناعة بأن اليهودية والمسيحية تكمل كل منهما الأخرى، وقد تصور بريستلي فلسطين أرضاً غير مأهولة بالسكان، أهملها مغتصبوها الأتراك، ولكنها مشتاقّة ومستعدة لاستقبال اليهود العائدين.¹⁷

وفي سنة ١٧٩٠م، كرر ريتشارد بير، أسقف ساند بروك، الاسترحام الذي قدم سنة ١١٤٩م، حين طلب من رئيس الوزراء الإنجليزي، وليم بت، أن يساعد على تحقيق عودة اليهود نهائياً إلى الأرض المقدسة، وادعى أنّ إنجلترا وأسطولها التجاري سيستفيدان سياسياً واقتصادياً. وقد كتب يقول: «ستكون هذه الجزيرة في طليعة الدول التي ستنتقلكم (اليهود) إلى وطنكم ... ومن المناسب جداً لحكومتنا أن تقدم مساعدتها لتحقيق هذا الهدف المنشود وانطلاقاً من دوافع السياسة الحكيمة. وعندما يجتمع إخواننا العبريون معاً ويقيمون في وطنهم من جديد، فسيكونون بحاجة إلى كثير من السلع المصنّعة ومستلزمات الحياة... وبخاصة الأصواف والكتان. وسيبقون لأعوام كثيرة في حاجة إلى شراء هذه الحاجيات من الأمم الأخرى...»^{١٨} ثم استعملت الصور الصهيونية الرفيعة عن «القدس اليهودية الجديدة» في ترانيم القرن الثامن عشر، وأبرزها تلك التي كتبها تشارلز وزلي. وقرب نهاية القرن الثامن عشر خاطب وليم بليك اليهود بهذه الأبيات:

استيقظي يا إنجلترا، استيقظي استيقظي.
فأختك القدس تناديك
لماذا ينام هؤلاء المؤمنون كالأموات
ويغلقونها عن جدرانك القديمة!^{١٩}

وفي سنة ١٨٠٠ م، نشر جيمس بشينو كتابه «عودة اليهود - أزمة جميع اليهود» الذي اعتبر فيه عودة اليهود قضية دولية، وكان ما أزعج بشينو حملة نابليون على الشرق. واحتمال أن يكون لفرنسا موطئ قدم في فلسطين، وقدم في كتابه اقتراحاً ينص على «أن يقوم حكام بريطانيا باستخدام نفوذهم لدى الباب العالي للتخلي عن فلسطين وإعادتها إلى «أصحابها الشرعيين». وبهذا فإنهم [اليهود] يحولون دون النتائج المحتملة التي لو حدثت فإنها ستكون ضربة قاتلة لحكومتنا وتجارنتنا. في الوقت الذي يؤدّون فيه أنبل عمل ممكن»^{٢٠}.

ومع نهاية القرن الثامن عشر، كانت الأفكار الصهيونية قد ترسخت في بريطانيا، وتزايد الاهتمام البريطاني بفلسطين. ووجدت فكرة البعث اليهودي منطلقاً لها في القرنين السابع عشر والثامن عشر من خلال التعاليم الدينية المقترنة بتعاليم ونصوص العهد القديم وبالمصالح الاقتصادية والسياسية أيضاً. وازداد التعاطف مع اليهود والاهتمام بفلسطين. بحيث أخذت هذه الأفكار والدعوات تجد لها قبولاً عند

أصحاب المصالح السياسية والاقتصادية. ولا سيما بعد أن عرضت أهمية فلسطين السياسية والاقتصادية لبريطانيا بكل وضوح وشمول.

الهوامش

- ١ شكري، محمد عزيز البعد الدولي للقضية الفلسطينية، في الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد السادس، ص٤.
- ٢ ولتكسون، جون. القدس تحت حكم روما وبيزنطة، في القدس في التاريخ، تحرير وترجمة كامل العسلي، عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤، ص ١١٠ - ١١١: الحوت، بيان نويهض، فلسطين القضية، الشعب، الحضارة، بيروت دار الاستقلال للدراسات والنشر، ١٩٩١، ص ٦٥.
- ٣ قسيس حنا، فلسطين كما وصفها الرحالة في العصور الوسطى، في الصراع الاسلامي - الفرنجي على فلسطين في العصور الوسطى، تحري هادية دجاني - تشكيل وبرهان الدجاني، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٤، ص ٨٨-٨٩.
- ٤ ولتكسون، مصدر سابق، ص ١١٠-١١١.
- ٥ قسيس، مصدر سابق، ص ٨٩.
- ٦ باركر، ارنتست، الحروب الصليبية، نقلة الى العربية، د. السيد الباز العربي، بيروت، دار النهضة العربية، بدون تاريخ، ١٤-١٥.
- ٧ الشريف، رجبنا، الصهيونية غير اليهودية، جذورها في التاريخ الغربي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٥، ص ٢٧-٢٨.
- ٨ باركر، مصدر سابق، ص ١٥-١٦.
- ٩ عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٦، ج ١، ص ٤٤-٤٤١، سيشار اليه، عاشور، أوروبا العصور الوسطى.
- ١٠ قسيس، مصدر سابق، ص ٩١.
- ١١ كول، بني فلسطين في كتابات العالم الغربي اللاتيني في القرنين ١٢ و ١٣ للميلاد، في: الصراع الاسلامي- الفرنجي على فلسطين، تحرير هادية الدجاني - تشكيل وبرهان الدجاني، مصدر سابق، ص ٩٩.
- ١٢ ماجد، عبد المنعم، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت، مكتبة الجامعة العربية، ١٩٦٦ م، ص ١٧٨.
- ١٣ باركر، مصدر سابق، ص ٩٠؛ ماجد، مصدر سابق، ص ١٧٩-١٨٠.
- ١٤ ماجد، مصدر سابق، ص ١٨٠-١٨٤، باركر، مصدر سابق، ص ٩٠-٩١، عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج ١، ص ٤٥٥.
- ١٥ عاشور، سعيد عبد الفتاح، الظاهر بيبرس، القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، ١٩٦٣، ص ٦٠-٧٩، سيشار اليه، عاشور، الظاهر بيبرس، عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مصدر سابق، ص ٤٦٠ - ٤٦١، ماجد، مصدر سابق، ص ١٨٩-٢٠٠.

- ١٦ ماجد، مصدر سابق، ص ٢٠١.
- ١٧ المصدر السابق، ص ٢٠٣.
- ١٨ دروزة، محمد عزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٥٩، ج ١، ص ٥-٦.
- ١٩ الشريفي، مصدر سابق، ص ٢٥-٣٩.
- ٢٠ الحسن، يوسف، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠، ص ٨٤٠؛ كنعان، جورج، الاصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، بيروت، بيسان للدراسات للنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ص ٣٧.
- ٢١ الحسن، مصدر سابق، ص ٢٥-٢٦.
- ٢٢ الشريفي، مصدر سابق، ص ٤٩-٥٣.
- ٢٣ المصدر السابق، ص ٥٤-٥٥.
- ٢٤ محمود، أمين عبد الله، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى قيام الحرب العالمية الأولى، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٤، ص ١٣؛ عوض، عبد العزيز محمد، الاطماع الصهيونية في القدس، في الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد السادس، بيروت، ١٩٩٠، ص ٨٤٠.
- ٢٥ محمود، مصدر سابق، ص ١٣-١٤.
- ٢٦ الحسن، مصدر سابق، ص ٢٦.
- ٢٧ الشريفي، مصدر سابق، ص ٨٠-٨١، أيوب، سمير، وثائق اساسية في الصراع العربي الصهيوني، بيروت، دار الحدائق، ١٩٨٤، ص ٦٥.
- ٢٨ الشريفي، مصدر سابق، ص ٨٦-٨٧.
- ٢٩ المصدر السابق، ص ٧٦-٧٧.
- ٣٠ المصدر السابق، ص ٨٧-٨٨.